الانزياحُ الدّلاليّ في نهجِ البلاغةِ (الخطبة الشّقشقيّة) انموذجًا

م . اباء مهدي مظلوم الغزالي

مدرس اللغة العربية في ثانوية المتفوقين الاولى للبنين

مديرية تربية كربلاء المقدسة

الملخّص :

انّ مما لا ريبَ انّ الانزياحَ في أيّ لغةٍ من اللغاتِ يدلّ على اتساعها وتمكنها ؛ إذ انّها تفتح أمام اللغة آفاقاً جديدة وواسعة ؛ لتجعلها أكثر توهّجاً وتألّقاً ، وتتجاوز الاستعمال المألوف لتخلق عبر نظام اللغة نمطاً جمالياً ، وبُعداً ايحائياً .

ومن هنا حاول هذا البحث الولوج الى هذه الظاهرة في موروثنا اللغويّ ؛ فكان اختيار نهج البلاغة والخطبة الشقشقية منه تحديداً مصداقاً وانموذجاً ، ولشمول هذه الظاهرة ؛ عمد الباحث الى الجانب الدلاليّ منها للبحث فيه .

وقد تضمّن البحث : (مفهوم الانزياح بين اللغة والاصطلاح كتقديم للبحث) ومحاور ثلاثة هي : (الانزياح بالاستعارة ، الانزياح بالكناية ، الانزياح بالتشبيه).

كلمات مفتاحية : الانزياحُ الدّلاليّ , نهج البلاغة , الخطبة الشّقشقيّة ,

تقديم :

الانزياح في اللغة :

ورد في المقاييس : " الزاء والواو والحاء أصلٌ يدلّ على تنَحٍّ وزوال ، يقول : زاح عن مكانه يزُوح ، إذا تنحَّى ، وأزحتُه أنا " [1] قال ابن دريد : " زاح عن المكان وأزحتُه أنا ، أي نحّيته " [2] وجاء في المحكم : " زاح الشيء زوحا أي أزاغه عن مكانه وأقصاه وزاح هو يزوح وزاح الرجل زَوحا : تناءى " [3] وربَّما قالوا : أزاح يُزِيح [4] وزاح الشيءُ يَزيحُ زَيحاً [5] " وزُيوحاً بالضّم وزِيُوحاً بالكسر وزَيحاناً محرَّكة : بعُد وذهب كانزاح بنفسِه وأَزحتُه أَنا وأَزاحه غيرُه " [6]

أما في الاصطلاح :

فلم أجد من علمائنا العرب قديماً من ذكره كمفهوم ، وانّما اشاراتهم اليه لا ريب فيها إذ نجده في قول الفراهيديّ : " والشعراء بالنسبة للكلام امراء يصرفونه كيف أرادوا وما يسوغ لهم لا يسوغ لغيرهم سواء في إطلاق المعنى أوتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتقعيده ومدّ المقصور وقصر الممدود والمؤآلفة بين لغاته ، والتمييز بين صفاته ، واظهار ما كلّت الألسن عن نعته ووصفه والعقول عن ادراكه ، وبيانه فيدنون البعيد ويبعدون القريب ، ويُحتج بهم ولا يُحتج عليهم ، ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل " [7].

ونجده أيضاً عند الجرجانيّ في باب التقديم والتأخير بقوله : " هو بابٌ جمٌّ الفوائدِ بعيدُ الغايةِ لا يزال يفترّ لك عن بديعه ، ويفشي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعراً يعجبك مسمعه ولطف لديك موقعه ثمّ تلحظ فتجد سبب أن أعجبك ولطف عندك ؛ أن قُدِم فيه شيء ، وانتقل اللفظ عن مكان إلى مكان " [8]

ومما ذُكر يتضح لنا انّ مفهوم الانزياح عند علَمينِ من علماء عربيتنا وهما الفراهيديّ والجرجانيّ بدا واضحاً ؛ إذ انهما يشيران الى خروج المتكلم باللغة عن معيارها المعتاد وهذا هو الانزياح بحده .

أما المحدثون فالأمر عندهم مختلف ؛ إذ حدّوه وتوسعوا في حدّه فيرون انّه " اختراق مثالية اللغة ، والتجاسر عليها في الاداء الابداعي بحيث يؤدي هذا الاختراق الى مخالفة الصياغة التي عليها النّسق المالوف أو المثالي أو إلى العدول في المستويين الصوتي والدّلالي للغة عما عليه هذا النّسق " [9].

وقيل : هو" الخروج عن الدارج أو ما يقتضيه الظاهر أو خروج عن المعيار الذي قصد اليه المتكلم او جاء عفو الخاطر لكنه يخدم النص بطريقة او بأخرى وبدرجات متفاوتة " [10] وهذا ما يراه منذر عياشي ؛ إذ يقول : " بالخروج عن الاستعمال الدارج للغة أو خروج على نظام اللغة ذاته " [11] ولعل هذا ما أشار اليه جورج مونان بحده للانزياح بأنّه خروج عن المعيار [12] .

وقال القيسيّ : انّ الانزياح " خروج عن قانون اللغة المعترف بها ، والمألوف شريطة أنْ يكون هذا الخروج ذو سمة جمالية في الانزياح بنوعيه اللغوي والطبيعي " [13]

وعرّفه نور الدّين السّيد بقوله : " هو زوغان الكلام عن نسقه الدارج ، وهو حدث لغوي يظهر في صياغة الكلام وتشكيله ، ويمكن عن طريقه التعرّف على طبيعة الأسلوب الأدبي ، بل يمكن اعتبار الانزياح هو ذات الأسلوب الأدبي " [14] .

وقيل : هو " الاستعمال النفعي للظاهرة اللسانية " [15]، وذهب الدكتور صلاح فضل الى انه " دراسة للإبداع الفردي وتصنيف للظواهر الناجمة عنه وتتبع للملامح المنبثقة منه " [16]

وذهب علي نظري الى أنه " خرق للقواعد حيناً ولجوء الى ما ندر من الصيغ حيناً آخر فأما في الحالة الاولى فهو من متضمنات علم البلاغة فيقتضي إذن تقييماً بالاعتماد على احكام معياريّة ، واما في حالته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة والاسلوبية خاصة " [17]

وعرّف ماروز الانزياح بانّه : " اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج العبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميّز بنفسه " [18] .

وذهب آخرون الى القول بأنه " خروج عن السائد والمتعارف عليه قياساً في الاستعمال رؤيةً ولغةً وصياغةً وتركيباً " [19].

وبالاعتماد على ما سبق أقول : انّ الانزياح ابتعاد الكلام عن المعيار الأساسي للغة وخروجه الى معانٍ واستعمالاتٍ جديدة سواء كان ذلك بقصدية المتكلم أو عدمها .

ومن الجيد هنا بعد ذكرنا مفاهيم الباحثين حول مصطلح الانزياح ان نذكر المصطلحات المشتركة معه (المرادفة) سواء من جهة الاستعمال أو من جهة اللفظ ؛ إذ عدد الباحثون لهذا المفهوم اسماء عدّة كفانا الدكتور سلام عبد الله عاشور[20] حصر العديد منها وهي " العدول ، الانحراف ، الانتهاك ، كسر المألوف ، الخرق ، التغريب ، الاصالة ، المفارقة " .

ومنها أيضاً : " الابتعاد ، الغرابة ، اللامألوف ، التجديد ، الابداع " [21] ومنها : " المنافرة " [22] ، " الالتفات " [23] ، " التجاوز ، خيبة التوقع " [24]

أما الغاية منه

فيرى ريفاتير : " انّ الانحراف حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ " [25] وهو ما اكده صاحب اللغة والابداع بقوله : " الكتابة الفنية تتطلب من الكاتب انْ يُفاجئ القارئ من حينٍ لآخر بعبارةٍ تثير انتباهه ؛

حتى لا تفتر حماسته لمتابعة القراءة أو يفوته معنى يحرص الكاتب على ابلاغه " [26]، وقد أضاف أحمد محمد ويس فائدةً اخرى وهي (الادراك المتجدد) ؛ إذ يقول : " انّ الادراك المتجدد هو الغاية من كل رسالة ولعل هذه الغاية تتوافق والغاية التي يرمي اليها الانحراف وربما كان في هذا الادراك المتجدد ما يؤدي الى انْ يحقق النص أثره الكلي " [27] .

المحور الأول : ((الانزياحُ بالاستعارة))

الاستعارة : " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه " [28]، وقال الرازيّ : " هي جعلك الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه " [29] .

وعرّفها الجرجانيّ بقوله : " ان تريد تشبيه الشيء بالشيء ، وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه " [30] .

ومن ذلك قيل : انها ضربٌ من التشبيه ونَمَطٌ من التمثيل [31]، الا انّ التشبيه " ليس هو الاستعارة ، ولكن الاستعارة كانت من أجل التشبيه ، وهو كالغرض فيها ، وكالعلّة والسبب في فِعْلها ، فإن قلت كيف تكون الاستعارة من أجل التشبيه ، والتشبيه يكون ولا استعارة ؛ وذلك إذا جئتَ بحرفه الظاهر فقلت زيد الأسد ، فالجواب أن الأمر كما قلتَ ، ولكنّ التشبيه يحصُل بالاستعارة على وجه خاصٍّ وهو المبالغة، فقولي : من أجل التشبيه أردتُ به من أجل التشبيه على هذا الشرط " [32]

وقيل : " الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها اظهارا للخفي وايضاحا للظاهر الذي ليس بجلي أو لحصول المبالغة أو لمجموع ذلك " [33]

وهي في الاستعمال من قبيل المجاز اللّغوي للكلام وأصلها " تشبيهٌ حُذف منه المشَبّه وأداة التشبه ووجهُ الشّبه ، ولم يبق منه إلاّ ما يدلّ على المشبّه به ، بأسلوب استعارة اللفظ الدالّ على المشبّه به أو استعارة بعض مشتقّاته أو بعض لوازمه ، واستعمالها في الكلام بدلاً عن ذكر لفظ المشبّه " [34]

وقيل: " هي من المجاز العقلي بمعنى أنّ الاستعارة تعتمد على أمر عقليّ ، لا لغويّ ؛ لأن مجرّد إطلاق اللّفظ على غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب ، فهذا أمر لا بلاغة فيه بدليل الاعلام المنقولة

لكنّ العمل العقليّ هو الذي أعطى الاستعارة بلاغتها " [35] والأصح أنها مجاز لغوي ؛ لقول الكفويّ : " أنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ، ولا لأعم منهما وقال بعضهم حقيقة " [36] وهي قسمان :

(أ) تصريحيّة وهي ما صُرِّح فيها بلفظِ المشبَّه به.

(ب) مكنيّة وهي ما حُذفَ فيها المشبّهُ بهِ ، ورُمز له بشيء من لوازمه [37] .

وهي في الخطبة الكريمة في غير موضع منها قوله (صلوات الله تعالى عليه) : " **وطَفِقتُ أَرتَئِي بينَ أَنْ أَصولَ بِيَد جذّاء أَو أَصبرَ على طَخية عمياء يهرَمُ فيها الكبير ، ويَشِيبُ فيها الصَّغِيرُ ويَكدحُ فيها مُؤمنٌ** " [38]

إذ استعار بلفظة (الطخية) – الظلمة – استعارة عن الحيرة والتيه لدى الناس من حيث التباس الحق بالباطل ، وهي من باب الاستعارة التصريحية ؛ فكما يضل الناس طريقهم بسبب الظلمة ، ضل العامة طريق الحق بسبب حيرتهم والتباس الامر عليهم ، وفيه أيضاً كما يرى السيد عبد الله شبر استعارة أخرى وهي " وصف الطخية بالعمياء ؛ فكما لا يهتدي الاعمى الى طريقه كذا هذه الظلمة لا يهتدى فيها الى الحق والسير الى الله تعالى " [39] .

وهذا يشير الى الانزياح الكبير للدلالة فقد انزاحت لفظة الطخياء عن معناها الاصلي الى معنى جديد وهو الحيرة والتيه ، كما انزاح معنى العمياء من التي لا ترى بالعين الى التي لا تبصر بالقلب أي البصيرة وهكذا ، وهذا كله من باب الاستعارة ، وليس الرابط بينهما الا عدم الهداية فكما لا يُهتدى بالظلمة ، لا يُهتدى الى الحق بسبب التباس الأمور على الناس وحيرتهم ، وان جمالية هذا الانزياح تكمن في ابراز المعنى المراد اثباته وتقريره ؛ إذ أزاح (صلوات ربي عليه) هذه المعاني المحسوسة الى أُخرى غير محسوسة .

ومنها أيضاً قوله (عليه السلام) في موضوع الخلافة : " **فَيَا عَجَباً بَينَا هُوَ يَستَقِيلُها في حَيَاتِهِ إِذ عَقَدَهَا لاخَرَ بَعْدَ وفَاتِهِ لَشدَّ مَا تَشَطَّرا ضَرعَيهَا** " في : لشدَّ ما تَشَطَّرا ضَرعَيهَا وهي جملة في غاية التعجب إذ جعل سلامُ اللهِ عليه للخلافة ضرعاً شبهها فيها بالناقة من باب الاستعارة المكنية والظاهر ان وجه الشبه بينهما هو المنفعة ؛ إذ كما ينتفع مما يخرج من ضرع الناقة أراد (عليه السلام) ان يشير الى انتفاع – المعني – من الخلافة منها .

الانزياح بالتّشبيه

قال ابن فارس : " الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابُه الشّيء وتشاكُلِه لوناً ووَصفاً ، يقال : شِبْه ، وشَبَه ، وشَبيه ، والشّبَهُ " [40] .

أما في الاصطلاح فانه " عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة ، لغرض يقصده المتكلم ، أي أنه صورة تحسين الشكل البلاغي وتوضيح الفكرة " [41]، وهو عند القزوينيّ : " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى " [42].

ويرتكز بحسب قول الجاحظ على : " مشبه ومشبه به وأن الشيء لا يُشّبه بغيره من جميع الوجوه ، ومَثّل لذلك بآيات قرآنية وأبيات شعر، استشفّ منها أن وجه الشبه في المشبه به أتم منه في المشبه وأشهر" [43].

وهو ما يراه القيروانيّ أيضاً ؛ إذ يقول : " صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه " [44]

وهذا ما ذهب اليه قدامه بن جعفر إذ يقول : " إنَّ الشيء لا يُشبه بنفسه ولا بغيره من جميع الجهات لأن الشيئين إذا تشابها من كل الوجوه ، ولم يقع بينهما اختلاف البتة اتحدا فصار الاثنان واحداً ، فيبقى أن يكون التشبيه واقعاً بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تجمعهما ويوصفان بها ، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن الآخر بصفتها ، وعليه فأحسن التشبيه هو ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما حتى يؤدي بهما إلى حال الاتحاد " [45].

وحدّه صاحب التّعريفات بقوله : " هو الدلالة على مشاركة أمرٍ بآخر في معنى ، فالأمر الأول هو المشبه ، والثاني هو المشبه به ، وذلك المعنى هو وجه الشبه ، ولا بدّ فيه من آلة التشبيه ، وغرضه ، والمشبه " [46]

وقد قسم البيانيون التشبيه الى اقسام كثيرة منها باعتبار ذكر أداة التشبيه ووَجْه الشَّبَهِ من عَدَم ذِكرِهما ويستحصل عن هذه الاحوال خمسة مصطلحات عن البيانيين تتكوّنُ منها ثلاثُ صورٍ[47]

1 – التشبيه المُرسل : وهو التشبيه الذي ذكرت فيه أداة من أدواتِ التشبيهِ .

2– التشبيه المؤكّد : وهو التشبيه الذي لم تُذكر فيه أداة من أدوات التشبيه.

3- التشبيه المفصّل : وهو التشبيه الذي ذكر فيه وجه الشبه .

4- التشبيه المجمل : وهو التشبيه الذي لم يُذكر فيه وجه الشبه .

5- التشبيه البليغ : وهو التشبيه الذي لم تُذكر فيه أداة التشبيه ولا وجه الشبه.

ويرى البيانيون " أنّ التشبيه البليغ يعتَمِد على المبالغة ، والإِغراق في ادعاء أن المشبَّه هو المشبَّه به نفسه ؛ لذلك لا تذكر فيه أداة التشبيه ولا وجهُ الشّبه " [48] .

اما فيما يتعلق بالخطبة المباركة فقد ورد التشبيه في مواضع كثيرة منها قوله (صلوات ربي عليه) في شكواه من أمر الخلافة : " **أما والله لَقَد تَقَمَّصَها ابنُ أبي قُحافة وإِنَّهُ لَيعلَم انّ مَحَلِّي منها محَلّ القُطب من الرَّحَا** " [49]

وهو تشبيه محض خارج من باب الاستعارة والتوسع فكما أنّ الرحا لا تدور إلا على القطب ، ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه ، كذلك نسبتي إلى الخلافة ، فإنها لا تقوم إلا بي ، ولا يدور أمرها إلا على هكذا ، كما الحق الشيخ ابن ابي الحديد فيه قوله : " وعندي أنه أراد أمرا آخر وهو اني من الخلافة في الصميم ، وفي وسطها وبحبوحتها كما أن القطب وسط دائرة الرحا " [50] وهو تشبيه حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه ؛ لذا فهو من التشبيه البليغ وهو من أجود انواع التشبيه ، كما ان تشبيه نفسه الشريفة بالقطب تشبيه للمحسوس بالمحسوس و " تشبيه الخلافة بالرحى تشبيه المعقول بالمحسوس وحيث كانت حاجة الرحا الى القطب ضرورية لا يظهر نفعها الا به فُهِم من تشبيه محله بمحله انه لا يقوم مقامه أحد في امر الخلافة والامامة ، كما لا يقوم غير القطب مقامه في محله " [51] والمُلاحِظ المُمعن للنظر يلحظ انّ في النص انزياحان رائعان ؛ اذ انزاحت لفظة الخلافة الى الرحى ؛ فكما الرحا تقوم بتسوية أمر المعيشة من طحن الحبوب وغيرها يقوم الامام بتسوية أمور المسلمين وغيرهم ، فضلاً على انزياح شخصه الكريم من الخلافة الى القطب من الرحا وهو من باب اثبات مكانته رضوان الله تعالى عليه من أمر الخلافة .

وكذلك من التشبيه أيضا قوله : " **فما راعَنِي إلاَّ والنَّاسُ كَعُرف الضَّبعِ إليَّ يَنثالُونَ عليّ من كُلّ جانبٍ** " [52] فشبّه (صلوات الله تعالى عليه) ازدحام النّاس بعد مقتل عثمان للبيعة " كعرف الضّبع – الذي يضرب به المثل في الازدحام – وهو من باب التشبيه المرسل ، ووجه الشّبه هو انّ الضّبع ذات عرف كثيرة قائم الشّعر، والعرب يسمّى الضّبع عرفا لعظم عرفها ، فكان حال النّاس في إقبالِهم إليه متتابعين ، يتلو بعضهم بعضاً قياماً يشبه عرف الضّبع " [53] فقد انزاحت دلالة عرف الضبع من الدلالة على كثافة الشعر عليه الى ازدحام الناس واجتماعهم حوله (عليه السلام) .

ومن سيل تشبيهاته سلام الله عليه أيضاً قوله في وصفه لكيفية خلافتهم : " **فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ** " [54] فقد شبه (صلوات الله عليه) صاحب الخلافة براكب الناقة وهذا التشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ؛ إذ يعبر عن المحن والمصائب التي تكلكلت على جموع المسلمين بعد انتقال النبي الاكرم الى الرفيق الأعلى ، وفي هذا انزياح دلالي جميل ؛ فقد انزاحت دلالة الصعبة من الدلالة على الناقة الى الدلالة على الظروف الصعبة والمحن ، وانما استعمل هذا التشبيه ليربط بين الكلفة والمشقة التي يحتاجها راكب الناقة الصّعبة في مداراة أحوالها والسيطرة عليها وبين الكلفة والمشقة التي يواجهها من يتقلد أمور المسلمين .

ومنها أيضاً تشبيه بليغ رائع حُذفت أداته في قوله رضوان الله عليه في قيام عثمان وصحبه : " **الى ان قام ثالثُ القومِ نافجاً حِضنيه بين نَثيلِه ومُعتلفِه وقام معه بنو أبيه يخضمون مالَ اللهِ خضمَ الإبل نبتة الربيع** " [55]، أي الى ان قام عثمان ومعه بنو أبيه – بنو امية – متفقاً معهم على ان يخضمون مال الله ، ورد في شرح الخطبة المباركة : " يخضمون مال الله أي يأكلونه من غير مبالاة مثل خضمة الابل نبتة الربيع فشبه أكلهم المال الحرام بِنَهم وشَره الابل بأكلها نبات الربيع ؛ إذ كان يَصرف مال الله على نفسه وأقاربه " [56]، " ووجه الشبه لا يخلو من لطف ، فإن الابل تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة ؛ لمجيئه عقب يبس الأرض وطول مدة الشتاء مضافاً الى طيبه ونضارته " [57] ؛ إذ شبه أكلهم المال الحرام باستلذاذ الابل وشهيتها بأكلها لغرض تبيين كيفية التبذير في أموال الدولة واستغلالها بالطرق غير المشروعة .

الانزياح بالكناية

ورد في المقاييس : " الكاف والنون والحرف المعتل يدلُّ على توريةٍ عن اسمٍ بغيره يُقال : كنيت عن كذا إذا تكلَّمت بغيره مما يُستَدَلُّ به عليه ، وكَنَوتُ أيضاً " [58]

قال الجوهريّ : والكناية أن تتكلَّم بشيء وتريد به غيره [59] ، أما الميدانيّ فلم يبتعد عن المعنى ذاته في حدّه لها بقوله " اللفظ المستعمل فيما وُضِع له في اصطلاح التخاطب للدّلالة به على معنى آخر لازم له ، أو مصاحبٍ له ، أو يُشار به عادةً إليه ؛ لما بينهما من الملابسة بوجهٍ من الوجوه " [60] ومعناها مشتق من الستر، تقول : كنوتُ بكذا كذا ، وبذلك تدخل الكنية في الكناية كقول الامير عليّ (عليه السلام) : " (أنا أبو حسن القِرم) إخفاء لاسمِه وعدم التصريح به ، وكأنها تورية للتعظيم " [61] .

وهي أيضاً " كلام استتر المراد منه بالاستعمال ، وإن كان معناه ظاهراً في اللغة ، سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، وهي عند البيانيين : أن يعبر عن شيء لفظاً كان أو معنى ، بلفظ غير صحيح من الدلالة عليه ، لغرض من الأغراض " [62] .

وقال : صاحب التلخيص أن الكناية " ذكر الملزوم وإرادة اللازم " [63] وعرفها الجرجانيّ : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة " [64].

وهي عند السكاكيّ " ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك كما نقول : فلان طويل النجاد لينتقل منه على ما هو ملزوم وهو طول القامة " [65] أن الكناية " أوقع من الإفصاح بالذكر والسبب في أن المجاز أبلغ من الحقيقة " [66] والكناية عند الأصوليين " ما يدل على المراد بغيره لا بنفسه ، وهي في اصطلاحهم أعم من المجاز)) [67] .

ومما سبق يتبين ان الكناية سمتٌ من سمات البلاغة ، وغايةٌ لا يصل إليها إلا من كان طبعُه لطيفاً ، وقريحتُه صافية ، والسرُّ في بلاغتِها يكمن في أنّها في صور كثيرةٍ تعطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها [68] " وهي من أبدعِ وأجملِ فنونِ الأدب ولا يستطيع تصيُّد الجميل النادر منها الاّ البلغاء ، وممارسو التّعبير عمّا يريدون التّعبير عنه بطُرقٍ جميلةٍ بديعةٍ غير مباشرة ، انّ الذكيّ اللمّاح إذا أرادَ أن يتحدّثَ عن شيء ما صفةً كان أو موصوفاً أو نسبةً حكميّةً ، جال ذهنُه ليدُلّ على ما يُريد التعبير عنه بطريقةٍ غير مباشرةٍ ، وطافَ في محيطِ ذلك الشيء لينتقي ممّا يلاحظُ ما يُدلّ به عليه ، فيبعدُ حيناً ، ويقربُ آخر ، ويتوسطُ غيره ، ويستَبعدُ ما لا يراه حسناً جميلا، وما لا يرى دلالته مناسبةً لمقتضى الحال " [69] وأوضح مميزات الكنايةِ التعبيرُ عن القبيح بما تسيغُ الآذان سماعه [70]

وقد وردت الكناية في الخطبة المباركة في اكثر من موضع منها قوله (عليه أفضل الصلاة والسلام) في شكواه من أمر الخلافة : **" انّ مَحَلّي منها محلّ القُطب من الرَّحَا ينحدر عني السّيل ولا يرقى اليّ الطّير فسدلتُ دُونها ثوباً وطويت عنها كَشحاً** " [71]

قال البحرانيّ كنّى (صلوات الله عليه) بقوله : " فسدلتُ دُونها ثوباً وطويت عنها كَشحاً عن احتجابه عن طلبها والمبالغة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول ، وكذلك قوله : وطويت عنها كشحاً تنزيل لها منزلة المأكول الذي منع نفسه من أكله فلم يشتمل

عليه كشحه ، وقيل : أراد بطيّ الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عمّن الى جانبه ، قال طوى كشحاً عنيّ وأعرض جانباً " [72] ، وقال الحكيميّ في شرحه : " ومراده (ع) انه اعرض عن الخلافة ويئس منها مهاجراً عنها ، وقيل : انّ المراد انيّ أجعت نفسي عنها ولم ألقمها ؛ لأنّ من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما انّ من أكل وشبع فقد ملأ كشحه " [73] ، والممعن النظر يرى انزياح دلالة لفظة (سدلت) من دلالة الارخاء والارسال ، قال صاحب المصباح : " سدلت الثوب سدلاً أرخيته وأرسلته من غير ضم جانبيه " [74] الى دلالة الحجاب أي انّه جعل بينها وبينه حجاباً ، وعبارة (طويت عنها كشحا) والكشح بحسب قول الرازي " الكشح بوزن فلس ما بين الخاصرة الى الضلع " [75] من دلالتها الاصلية وهي إدارة الجنب والالتفات الى دلالة الاعراض وكأنه سلام الله تعالى عليه قد أدار جنبه عنها بعد أن يئس منها .

ومما ورد أيضاً *قوله* سلام ربي عليه *في ترجيح الصبر* : ***" فَرَأَيتُ أَنَّ الصَّبرَ عَلَى هَاتَا أَحجَى ، فَصَبَرتُ وفي العَينِ قَذًى ، وفي الحَلقِ شَجاً ، أَرَى تُرَاثِي نَهباً ، حَتَّى مَضى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعدَه "***

إذ أورد (صلوات ربي عليه) في النص كنايتين غايتين في الدقة والروعة إذ يقول : *" فصَبرتُ وفي العَينِ قَذى وفي الحَلْقِ شَجاً* ، وهما كنايتان عن الغمّ ومرارة الصبر أي صبرت على مضض ورمض ، كما يصبر الارمد والذي يعض على أمر فهو يكابد الخنق " [76] فالجملتان تعبران عن مدى الأذى عند الامام (سلام الله عليه) بسبب اغتصاب ما يراه من حقه بحيث انه (صلوات ربي عليه) لم يتمكن من ان يغض البصر عن تلك الأمور.

ومنها أيضاً قوله عن الخليفة الثاني: " **فصيّرها في حَوزَةٍ خَشنَاءَ ، يَغلُظُ كَلمُهَا وَيَخشُنُ مَسُّهَا وَيَكثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَالاعتِذَارُ منهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعبَةِ** " [77]

والحوزة الخشناء هنا كناية عن طباع الخليفة الثاني فإنها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وهو معنى خشونتها ، فضلا على قوله يغلظ كلمُها وهو كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به ؛ فأن الضرب باللسان أعظم من وخز السّنان ، أما قوله : يخشن مسّها فهو كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للأذى كما يستلزم مس الاجسام الخشنة ، أما قوله (صلوات الله تعالى عليه) : " يَكثر العثار فيها والاعتذار منها فهو إشارة الى تسرع عمر في الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى الاعتذار" [78].

فنلحظ فيما سبق انزياح دلالة الالفاظ في قول الامام (عليه السلام) من معانيها الظاهرة الى أخرى مستترة وهو أسلوبٌ مهمّ من أساليب التعبير عن المراد وبالطريقة غير المباشرة ؛ إذ وضع المقال في الموضع المناسب لمقتضى الحال ، وكيف لا يكون هكذا وهو سيد الفصحاء وامام البلغاء ؛ فقد انزاحت دلالة قوله : ***وفي الْعَينِ قَذى وفي الحَلقِ شَجاً*** مما يقع في العين من تراب أو وسخ أو ما شاكله ومن في حلقه الشجى وهو ما يعترضُ في الحلق من عظم ونحوه مما يوجب الأذى ويسلبُ الراحةَ عن الفرد الى الغمّ ومرارة الصبر.

كما نلحظ أيضاً انزياح دلالة (الحوزة) فيها من معنى الملك والحيازة للشيء الى الطباع التي يتطبع بها الشخص ، ولفظة (يغلظ) من الثخن والصلابة للشيء الى خشونة الكلام وجفاء الطبيعة ؛ وتتجلى جمالية الانزياح في النص بالايجاز الذي فيه فقد اوجز الصفات الكثيرة التي اتصف فيها الخليف الثاني بكلمات ست غاية في الروعة .

نتائج البحث

رصد البحث الانزياحات الدلالية في الخطبة الشقشقية من خطب الامام (صلوات ربي عليه) ؛ لما لهذه الانزياحات من بعد ايحائي في تشكيل جمالية النص ، فقد ظهر من خلال البحث احتواء نص الخطبة المباركة على شيء من الدهشة والغرابة والغموض المحفز للفكر ، وعلى الرغم من ذلك فإنه (صلوات الله تعالى عليه) يُودع في كلامه ما يربط بين دلالات الالفاظ الموضوعة في اللغة والدلالات التي انزاحت اليها ؛ وما ذلك الا ترسيخاً للمعنى في النفوس ، وابتعاداً عن الكلام المألوف ، فضلاً على لفت انتباه القارئ والمستمع واثارة ذهنه ، وابعاداً لأفكار العامة عن تحريف المعنى الذي ينشده (صلوات ربي عليه) والذي سيسعى اعداءه اليه .

اثبت البحث ان في الخطبة انزياحات متعددة ، اكثرها انزياح الالفاظ من دلالاتها المادية الى دلالات معنوية كانزياح دلالة لفظة (الضرع) الى المنفعة ، وانزياح دلالة القذى الذي في العين والشجا في الحلق الى الغم ومرارة الصبر .

كما أظهر انزياح الالفاظ من دلالاتها المعنوية الى دلالات مادية كانزياح لفظة (الخلافة) من الإدارة للأُمور الى الرحا وهي الآلة المعروفة .

ويظهر أيضاً انزياح الالفاظ من دلالاتها المادية الى دلالات مادية أخرى كانزياح شخص الامام (عليه السلام) الى القطب من الرحا .

الهوامش

[1]) مقاييس اللغة ، مادة (زوح) .

[2]) جمهرة اللغة ، مادة (زيح) ، وينظر: المعجم الوسيط ، مادة (زاح).

[3]) المحكم والمحيط الاعظم ، مادة (زيح) ، وينظر : المصباح المنير، مادة (زيح) .

[4]) مقاييس اللغة ، مادة (زوح) .

[5]) الصحاح ، مادة (زيح) ، وينظر: القاموس المحيط ، مادة (زاح).

[6]) لسان العرب ، مادة (زيح) ، ينظر: تاج العروس، مادة (زيح) .

[7]) منهاج البلغاء : 143 .

[8]) المصدر ذاته : 108 .

[9]) الانزياح في شعر نزار قباني : 5 ، وينظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب : 15 .

[10]) شعرية الانزياح بين عبد القادر الجرجاني وجان كوهن : 17، وينظر: الاسلوبية الرؤية والتطبيق : 180 .

[11]) مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب : 61 ، وينظر: مقالات في الاسلوبية : 81 .

[12]) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب : 75 .

[13]) الانزياح في سورة النمل : 56 ، وينظر: في شعرية اللغة : 145 .

[14]) الأسلوبية وتحليل الخطاب :1/ 179 .

[15]) مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب : 62 ، وينظر: الاسلوب والاسلوبية : 65 .

[16]) مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب : 62 ، وينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص : 231.

[17]) ظاهرة الانزياح في شعر ادونيس :87 ، وينظر: الاسلوب والاسلوبية : 103 .

[18]) الاسلوب والاسلوبية : 103 .

[19]) ظاهرة الانزياح في شعر ادونيس :87 ، وينظر: ظاهرة الانزياح الاسلوبي في شعر خالد بن يزيد :56 .

[20]) مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب : 63 .

[21]) جمالية الانزياح في القرآن الكريم : 12 .

[22]) الانزياح في الشعر العربي المعاصر : 21 .

[23]) جمالية الانزياح في القرآن الكريم : 12 .

[24]) الانزياح والدلالة : 28 ، وينظر: الانزياح في الشعر العربي المعاصر: 27.

[25]) اللغة والابداع : 81 .

[26]) اللغة والابداع : 82 ، وينظر: وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الاسلوبية : 302.

[27]) ينظر: مجلة علامات : 304 .

28) البيان والتبيين: 153/1.

[29]) ينظر: الكليات : 137/1 .

31) دلائل الإعجاز : 106 .

[31]) اسرار البلاغة : 6/1 .

[32]) اسرار البلاغة : 84/1 .

[33]) الكليات : 137/1 .

[34]) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها : 636/1 .

[35]) المصدر ذاته : 638/1 .

[36]) الكليات : 137/1 .

[37]) البلاغة الواضحة : 93،94/1 ، وينظر: التعريفات : 60/1 .

[38]) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : 209/1.

[39]) ينظر: نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة : 102/1 .

[40]) مقاييس اللغة مادة (شبه) : 189/3.

41) أساليب البيان في القرآن : 205.

42) الإيضاح في علوم البلاغة :203/1.

43) الحيوان :139/2.

44) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :488/1.

45) نقد الشعر: 122.

[46]) التعريفات : 18/1 .

[47]) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها : 595/1 ، وينظر: البلاغة الواضحة : 30/1 .

[48]) المصدران ذاتهما .

[49]) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : 151/1 .

[50]) المصدر ذاته : 153/1 .

[51]) شرح نهج البلاغة لعبد الله شبر : 96/1 .

[52]) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : 200/1 .

[53]) شرح نهج البلاغة للبحرانيّ : 264/1 ، وينظر: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: 443/3.

[54]) نخبة الشرحين : 113/1 .

[55]) شرح الخطبة الشقشقية : 241 .

[56]) المصدر ذاته : 241 .

[57]) نخبة الشرحين : 1/ 113 .

[58]) مقاييس اللغة مادة (كنو) : 113/5 .

[59]) الصحاح مادة (كنى) : 126/2 .

[60]) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها : 567/1 ، وينظر: الكليات : 1214/1 .

44) لسان العرب مادة (كني) : 12 /174 .

[62]) مفتاح العلوم : 161/1.

[63]) حاشية الصبان : 367/1 .

64) دلائل الإعجاز:66.

[65]) مفتاح العلوم : 176/1.

[66]) مفتاح العلوم : 180/1 ، وينظر : الايضاح في علوم البلاغة : 21/1 .

[67]) الكليات : 1214/1 .

[68]) البلاغة الواضحة : 156/1 .

[69]) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها : 573/1 .

[70]) البلاغة الواضحة : 158/1 .

[71]) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : 151/1 .

[72]) شرح نهج البلاغة للبحراني : 255/1 .

[73]) شرح الخطبة الشقشقية : 149/1 .

[74]) المصباح المنير : 103/1 .

[75]) مختار الصحاح : 89/1 .

[76]) نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة : 98/1.

[77]) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : 206/1.

[78]) شرح نهج البلاغة للبحراني : 258/1 ، وينظر : نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة : 102/1 .

المصادر والمراجع

ابن ابي الحديد المعتزلي. (1959). شرح نهج البلاغة .

أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. (1998). الكليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1998م.

ابو الحسن القرطاجني. (د.ت) . منهاج البلغاء وسراج الأدباء. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

احمد ابن فارس. (1979). مقاييس اللغة . بيروت: دار الفكر.

احمد محمد الازهري. (د.ت). تهذيب اللُّغة. مصر: دار مصر للتأليف.

احمد محمد الفيومي. (1987). المصباح المنير . بيروت: مكتبة لبنان.

احمد محمد ويس. (1996). وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية . مجلة علامات .

اسماعيل حماد الجوهري. (1990). تاج اللغة وصحاح العربية . بيروت: دار العلم للملايين.

الاشموني.(د.ت). حاشية الصبان على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد. مصر: المكتبة التوفيقية.

الحارث اسد المحاسبي. (د.ت). أساليب البيان في القرآن. عمان: الرسالة الحديثة.

الحسن رشيد القيرواني. (1972). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . بيروت: دار الجيل.

مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية.

قدامة بن جعفر . (1302هـ). نقد الشعر. القسطنطينية: الجوانب.

جمال الدين محمد ابن منظور. (د.ت). لسان العرب . بيروت: دار صادر.

هدية جيلي . (2006). ظاهرة الانزياح في سورة النمل. الجزائر: جامعة منتوري.

سعاد بو لحواش. (2011). شعرية الانزياح بين عبد القادر الجرجاني وجان كوهن. الجزائر: جامعة الحاج لخضر.

سلام عبد الله محمد عاشور. (6 حزيران, 2012). مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب . مجلة جامعة ابن رشد.

شكري عياد. (1988). مبادئ علم الاسلوب العربي. مصر: انترنوشينال.

الشيخ الصدوق . معاني الاخبار. تصحيح محمد بن علي بن الحسين . قم المقدسة : جامعة مدرسين (1361هـ ش).

صالح علي سليم. (2005). ظاهرة الانزياح الاسلوبي في شعر خالد بن يزيد. مجلة جامعة دمشق.

صلاح فضل. (1992). بلاغة الخطاب وعلم النص . صلاح فضل ، مجلة سلسلة عالم المعرفة ، عدد 164 ، 1992 م. سلسلة عالم المعرفة.

عباس رشيد. (2009). الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

عبد الرحمن حسن الميداني. (1996). البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. دار القلم: دمشق.

عبد القادر عبد الرحمن الجرجاني. (1991). اسرار البلاغة . القاهرة: دار المدني.

عبد القادر بن زيان. (2017). جمالية الانزياح في شعر المتنبي. الجزائر: جامعة ابي بكر بالقايد.

عبد الله شبر. (2004). نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة. ايران: النهضة.

عبدالقادر عبد الرحمن الجرجاني. (1992). دلائل الاعجاز . القاهرة: مكتبة الخانجي.

عتيق عبد العزيز. (2002). علم البيان. بيروت: دار الفكر.

علي ابن سيدة. (1958). المحكم والمحيط الأعظم. مصر.

علي الجارم، و امين مصطفى. (1999). البلاغة الواضحة . بيروت: دار المعارف.

علي محمد الجرجاني. (1998). التعريفات . بيروت: دار الكتاب العربي.

علي نظري، و يونس وليئي. (1392هـ). ظاهرة الانزياح في شعر ادونيس. دراسات الادب المعاصر.

عمر بحر الجاحظ . (1958). الحيوان. سوريا: مصطفى البابي الحلبي وشركاه.

عمر بن بحر الجاحظ. (1998). البيان والتبيين . القاهرة: مكتبة الخانجي.

كمال الدين ميثم البحراني. (1378هـ). شرح نهج البلاغة. طهران: المطبعة الحيدرية.

مجد الدين محمد الفيروز آبادي. (2005). القاموس المحيط . لبنان: مؤسسة الرسالة.

محمد ابن دريد. (1987). جمهرة اللغة . بيروت: دار علم الملايين.

محمد عبد الرحمن القزويني. (2003). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع . بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد عياد شكري. (1988). اللغة والإبداع . مصر: انتر ناشونال برس.

محمد مرتضى الزبيدي. (1994). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر.

نادية حفيز. (2008). الانزاح في الشعر العربي المعاصر. جامعة وهران.

نعيم اليافي. (1995). الانزياح والدلالة / نعيم اليافي ، مجلة الفيصل ، عدد 226 .

نور الدين السيد. (1997). الأسلوبية وتحليل الخطاب الجزائر: دار هومة.

يوسف محمد السكاكي. (1987). مفتاح العلوم . بيروت: دار الكتب العلمية.